

مجلة علمية نصف سنوية محكمة متخصصة في العلوم الإنسانية تصدر عن جامعة صبراتة

الفسيفساء الليبية: مجال مكاني، إرث تاريخي، جذب سياحي

Libyan Mosaic: Spacious Venue, Historical Heritage, Tourist attraction

د.عزيزة أحمد حسن

محاضر، كلية الآداب، جامعة صبراتة

رقم الايداع القانوني بدار الكتب الوطنية: 2017-139

العدد الرابع

ديسمبر 2018

الفسيفساء الليبية: مجال مكاني، إرث تاريخي، جذب سياحي

Libyan Mosaic: Spacious Venue, Historical Heritage, Tourist attraction

عزيزة أحمد حسن

محاضر، كلية الآداب، جامعة صبراتة

azeza_aaa@yahoo.co.uk

ملخص الدراسة:

أرض ليبيا غنية بالآثار الفنية التي تشكل منبعاً للعديد من الدراسات البحثية في مختلف التخصصات، ومنها الفسيفساء، التي تختلف أنواعها من حيث تنوع الخامات التي أهمها فسيفساء الحصى، الفسيفساء الحجرية "الرخام"، الفسيفساء الزجاجية، ومن حيث تنوع التقنيات والموضوعات، وأهم المواضيع التي تناولتها الرسوم الفسيفساء الليبية هي تلك التي تدل على حياتهم اليومية وطقوسهم، وتتمثل في الحياة الاقتصادية والريفية من فلاحة وموارد اقتصادية مختلفة، وفسيفساء الفصول الأربعة والمناظر النيلية، والفسيفساء المجسدة للألعاب الرياضية والصيد والمسابقات: أما أهم مواقع الفسيفساء في ليبيا فتتمثل في كل من: الأرضيات الفسيفسائية في كنائس قورينا، ويمكن حصرها في المدن التالية: شحات، سوسة، توكره، رأس الهلال، قصر ليبيا، حيث يوجد في الأخيرة متحف متخصص لعرض الفسيفساء، الأرضيات الفسيفساء في المنطقة الغربية وتتمثل في دار بوك عمير، ولبدة، وطرابلس، وصبراتة، ومن نتائج هذه الدراسة أن ليبيا من أغنى المناطق في شمال إفريقيا في امتلاكها لوحات الفسيفساء ذات الموضوعات الكثيرة التي تمثل جميع أوجه الحياة العامة مثل الحياة الاقتصادية.

Abstract:

The land of Libya is rich with ancient artistic artifacts which represents an inspiration for researchers from different specialization including the different types of mosaic, especially the gravel mosaic, the marble and glass mosaic. Many areas have been addressed by the Libyan artistic mosaic such as the Libyan life style and rituals, economic and agriculture activities. This involves also the four reasons mosaic, the Nile mosaic, sports and hunting mosaic. The most important mosaic sites in Libya include the floor mosaic in the churches of Styrene. The cities Shahat, Sousse, Tokhrah, Ras Al-Hilal, and Palace of Libya with its museum of mosaic. In the Western region, mosaic is found in Dar Book Omair, Lebda, Tripoli and Sabratha. The results of this study reveal that Libya is the richest region in North Africa with mosaic types.

مقدمة:

تعد ليبيا مهد الحضارات، فقد نشأت على أرضها حضارات ضاربة في القدم لها علومها وتقاليدها الخاصة بها مثل الرسوم والنقوش والفنون في أماكن مختلفة، ومن ضمن هذه الفنون، فن الفسيفساء، حيث انتشر هذا الفن على طول الساحل حيث قامت المدائن والحضارات.

عرفت العصور القديمة أنواعا من الفسيفساء، إلا أنها اقترنت بشكل واضح بالفترة الواقعة بين الحضارة اليونانية، والرومانية، ونهاية العصور الوسطى، بل ارتبطت بشكل كبير بالحضارة البيزنطية، حيث بلغت أوج مجدها، ممثلة في المتاحف الليبية المنتشرة في شرقها وغربها، بمدن شحات، قصر ليبيان لبدة، طرابلس، صبراتة، وشكلت العديد من اللوحات الفنية مرصعة بقطع من الفسيفساء.

اعتمد هذا البحث على دراسة أنواع مختلفة من هذه الفسيفساء في ليبيا لغنائها في أغلب الأراضي الليبية، التي اختلفت باختلاف استخداماتها في الأرضيات والجدران واللوحات، وهي التي تمثل بعض جوانب الحياة العامة التي كانت تعيشها المنطقة، وبخاصة تلك اللوحات التى تمثل الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية، كذلك أهتم البحث بأهم مواقع الفسيفساء الليبية بحسب توزيعها الجغرافي ومعرفة مدى تأثيرها السياحي، وبخاصة عند الباحثين وعلماء الآثار، لما تقدمه من ذخائر علمية للحياة في تلك العصور والحضارات.

أهمية البحث وأسباب الاختيار:

1- غنى أرض ليبيا بالآثار الفنية التي تشكل مصدراً للعديد من الدراسات البحثية في مختلف التخصصات.

2- قلة الدراسات عن الفسيفساء باللغة العربية فأغلب الدراسات باللغات الإيطالية أو اللاتينية.

أهداف البحث:

1- يهدف البحث إلى تقديم معلومات عن أماكن انتشار الفسيفساء في ليبيا.

2- تحديد مدى الاستفادة من الفسيفساء في معرفة طرق حياة العصور السابقة.

3- تحديد مدى الاستفادة من الفسيفساء سياحيا.

مشكلة البحث:

تنتشر الفسيفساء في الكثير من الأماكن والمواقع الأثرية وخاصة تلك التي مرت عليها الحضارات اليونانية والبيزنطية مثل صبراتة وأويا ولبدة في الغرب وشحات وسوسة وقصر ليبيا في الشرق، وقد رسمت لوحات ذات قيمة جمالية كبيرة، دفعت إلى أن تؤسس لمشكلة البحث من خلال التساؤلات الآتية:

س1- أين توجد أهم لوحات الفسيفساء في ليبيا؟

س2- ما أهم المواضيع التي تمثلها لوحات الفسيفساء؟

س3- كيف يمكن المحافظة على الفسيفساء واستثمارها سياحيا؟

فرضيات البحث:

1- إن الشمال الليبي غني بلوحات الفسيفساء.

2- في الغالب اللوحات الفسيفسائية تعكس طريقة وشكل حياة زمن تنفيذها.

3- من المفترض أن تحفظ هذه اللوحات في أماكن مخصصة لذلك، وحمايتها من التلف لاستغلالها الاستغلال الأمثل.

المصطلحات المستخدمة:

الفسيفساء:(Mosaic) الفسيفساء: هي ألوان تؤلف من الخرز فتوضع على الحيطان يؤلف بعضه على بعض، وتركب في حيطان البيوت من الداخل كأنه نقش مصور، والفسفس البيت المصور بالفسيفساء[1].

بنتابوليس: المدن الخمس (سوسة، شحات، طلميثة، توكره، بنغازي).

تريبوليتا: المدن الثلاث هي: ماجنا (لبدة)، أويات (طرابلس)، وهابرتونوم (صبراتة).

الأيقونة: (ICON) صور دينية بيزنطية ترسم على الخشب وتلون بألوان مائية، أو زيتية على قماش بأسلوب رمزي واقعي[2].

أولاً- أنواع الفسيفساء

يمكن تقسيم أنواع الفسيفساء حسب أنواع الخامات والتقنيات المتبعة في تنفيذها وطبيعة موضوعاتها وأنواع حضارتها وهذا ما يعبر عنه الواقع المكاني لتوزيعها.

1- أنواع الفسيفساء من حيث تنوع الخامات:

أ- **فسيفساء الحصى:** تعد الفسيفساء المنفذة بالحصى أحد الأشكال الفنية الأولى لهذا الفن، حيث أستخدم هذا النوع في زخرفة أرضيات المعابد والمباني الأخرى، تظهر باللون الأبيض والأسود، ثم أضيف إليها الحصى الأصفر والأحمر في نهاية القرن الرابع[3]، وهي تمثل أبسط المواد الموجودة في الطبيعة المحلية والمعدة دون عناء للعمل بها، إلى جانب ما تتميز به من صلابة وألوان متعددة وسطح أملس، خاصة تلك التي تتعرض للعوامل الجوية لذلك نجدها في المسطحات الخارجية.

ومن المعتقد أن تقنية فسيفساء الحصى ظهرت في اليونان وقد وجد نموذج في دلفي باليونان، ثم انتشرت إلى شمال أفريقيا مع المغامرون الذين قدموا، من مقدونيا بعد ذلك، وبلغت أوج ازدهارها في القرن الثالث قبل الميلاد خاصة في بيلا ('PELLA)، إن هذا النوع كان الأكثر انتشارا بسبب توفرها وبساطتها.

ب-**الفسيفساء الحجرية: "الرخام"** هي مكعبات صغيرة جدا من مختلف الأحجام والأنواع والألوان، سواء من الرخام أو الخزف الملون، أو من الأحجار الكريمة، ظهر هذا النوع من الفسيفساء خلال القرن الثالث قبل الميلاد. وقد ابتكر الإغريق ما يسمى بتقنية المكعبات الصغيرة المقطعة من الأحجار بأشكال هندسية منتظمة (مربعات أو مستطيلات) أو غير منتظمة، ترتب بجوار بعضها لتكوين اللوحات، وقد أحدثت هذه التقنية نقلة نوعية في فن الفسيفساء، فمنحته صفاته المميزة التي حافظ عليها حتى الآن، نظرا لتميزه انتشر بشكل واسع في العالم[4].

أما قطع الأحجار ذاتها، فقد كانت معروفة في العصر اليوناني باسم ABAKISKOI أما الرومان فكانوا يطلقون عليها ABACULI أو (TESSELLAE أو(TESSERAE، وهو الاسم الأكثر شيوعاً.

وقطع المكعبات "التيسرا" تختلف كثيراً في أحجامها عن الأنواع الأُخرى، وذلك تبعاً لدورها في التكوين، ولا شك أن استخدام مكعباتها مهد الطريق لاستخدام مواد أخرى متنوعة، مثل الفخار، وعجائن زجاجية معتمة أو شفافة، والأصداف وغيرها(5).

ج- الفسيفساء الزجاجية (الأزمالتي – الذهبي والفضي) تعد المكعبات الزجاجية من الخامات المصنعة واسعة الانتشار وذلك لثرائها اللوني وتنوع ملمسها بين ناعم وخشن، ولقد بلغ استخدام هذا النوع ذروته عند البيزنطيين حيث استخدموه بدرجة واسعة لرونقه وألوانه المتعددة، كما أضيف إليه اللونين الذهبي والفضي، ولهذا ظلت مناسبة لاحتياجات الفنانين حتى الآن.

ومكونات " الازمالتي " Alazmallte هي مكونات الزجاج، وهي الرمل والصودا أو البوتاس والجير، ويضاف إليها أيضا أكسيد القصدير ليكسب الزجاج الإعتام اللازم في تصنيع الازمالتي، والأكاسيد المعدنية المستعملة في تلوين الازمالتي هي ذاتها المستعملة في تلوين الزجاج الملون، والتي عرفت منذ قرون فمثلاً أكسيد النحاس يعطي اللون الأخضر والأزرق، وأكسيد الكروم يعطي اللون الأخضر، والكوبالت يعطي اللون الأزرق وهكذا. وقد بلغ استخدام الفسيفساء الزجاجية اهتماماً خاصاً عند البيزنطيين فهم أول من استعملها كتصوير جداري بدرجة واسعة، وتشهد بذلك أعمالهم المتعددة على جدران الكنائس حيث أضافوا إليها اللونين الذهبي والفضي، وفي تصنيع اللونين الذهبي والفضي لم يكن ذلك بإضافة أكسيد معدني إلى المصهور الزجاجي مثل الألوان الزجاجية الأخرى، وإنما كانت تصنع بتثبيت رقاقة من الذهب أو الفضة على لوح سميك من الزجاج، ثم تغطي بطبقة زجاجية أخرى رقيقة، وبذلك تكون رقاقة الذهب أو الفضة محصورة بين طبقتين من الزجاج مما يبعدها عن التعرض للعوامل الجوية وتأثيراتها. وقد كان الدافع الأساسي لاستخدام الذهب عند البيزنطيين، سواء في أعمال تصوير المخطوطات أو التصوير الجداري أو الأيقونات هو إيحاء بتأثير مثالي ورمزي بعيداً عن الواقع، ومتمثلاً في الضوء البراق على شكل هالة من الذهب أحياناً أو أرضية كاملة من الذهب في أحيان أخرى(6).

وقد تأثر المسلمون بالبيزنطيين كما أسلفنا، في تكسية الجدران بالفسيفساء الزجاجية، ومن أقدم الزخارف التي وصلتنا فسيفساء قبة الصخرة بالقدس التي تتألف من مكعبات دقيقة من الزجاج، ومن الحجر، والصدف والفصوص الفضية وغيرها، كما استعمل اللون الذهبي للخلفية، أحياناً لإبراز بعض العناصر، وإظهارها كرسوم الفاكهة، كما أُسْتُعْمِلت الفسيفساء الزجاجية في الجامع الأموي بدمشق، التي تقوم جميع رسومها على أرضية يغلب فيها اللون الذهبي(7).

2- أنواع الفسيفساء من حيث تنوع التقنيات

كان لتنوع الخامات وتعددها دور مهم في فتح مجالات جديدة للتعبير عن الجوانب الفنية والتقنية لفن الفسيفساء لم تكن متاحة من قبل، ووجدت منذ ذلك الحين التصنيفات المتعددة لأنواع الفسيفساء التي تحمل أسماء

متوارثة من العصر الروماني، وقد اتبع الرومان في تنفيذهم للفسيفساء ثلاث طرق رئيسية يمكن تقسيمها بحسب هذه التقنيات، وعثر على هذه الأنواع الثلاث في معظم المناطق الأثرية في ليبيا وهي مقسمة كالآتي:

- **أوبوس تيسيلاتوم** (OPUS TESSELATUM): نوع من اللوحات فسيفسائية تصنع من مكعبات صغيرة تمثل موضوعات مختلفة بالإضافة إلى الزخارف الهندسية يضمها إطار فسيفسائي يغطي حواشي اللوحة وهذا النوع من الفسيفساء هو الأكثر انتشاراً وقد عثر على هذا النوع في أغلب الحفريات الأثرية التي عثر عليها بمدينة تاجوراء ولبدة وصبراتة ومنها ما هو معروض أيضاً في متحف السرايا الحمراء، منقولة من فيلا (دارة) النيل في لبدة، ودارة وادي الزقية قرب النقازة غرب مدينة الخمس[(8)].
- **أوبوس سكتايل** (OPUS SECTIL): نوع ثاني من الفسيفساء تتكون من مزيج من مكعبات الفسيفساء والقطع الرخامية وكانت عادةً تشكل في أشكال هندسية مختلفة في وسط اللوحة أو على جوانبها، ومن أهم أمثلة هذا النوع فسيفساء الفصول الأربعة، وفسيفساء المصارعين التي عثر عليها بزليتن في الدار المسمى (دار بوك عميرا).
- **أوبوس فير ميكولاتوم** (OPUS VER MICUULATUM): وتصنع القطع من هذا النوع من قطع فسيفسائية صغيرة، ويمكن أن تقابله في العربية النظام الشبكي أو الشطرنجي، فتصور الأرضية أولاً ثم تقسم من الداخل بإطار من الفسيفساء الملونة على شكل لوحات فنية في كل واحدة منها أحد المناظر الطبيعية، وتمثل هذا النوع لوحة أورفيوس التي عثر عليها بإحدى الدارات الرومانية بالقرب من مدينة لبدة، وهي معروضة اليوم بالمتحف بالسرايا الحمراء بطرابلس[(9)].

رسمت هذه اللوحات أو البعض منها بدقة متناهية لتحاكي المناظر الطبيعية بالرغم من صعوبة تشكيل وتوزيع قطع الفسيفساء وبمشقة العثور على الألوان المناسبة في الأحجار وغيرها.

3- **أنواع الفسيفساء من حيث تنوع المواضيع المكونة** (طبيعة الموضوعات):

لقد جاءت رسوم الفسيفساء لتصور أو لتحاكي موضوعات ومجالات مختلفة من الحياة بشتى أنواعها، وهذا ما دلت عليه رسوم الفسيفساء التي عثر عليها في مواقع متفرقة سواءً كانت هذه المواقع مباني دينية، أو مباني مدنية أو حتى في المتاحف الأثرية، ومن الملاحظ أن معظم هذه المواضيع المجسدة للرسوم الفسيفسائية تتكرر أو تتشابه في مواقع كثيرة من حوض البحر الأبيض المتوسط، والسبب في ذلك راجع إلى تنقل الرسامين والمزخرفين وصناع هذا الفن من موقع إلى آخر، ومن بلد إلى بلد، ومن مدينة لأخرى، حاملين معهم نفس المواضيع والتصاميم والتقنيات والأفكار، وهذا ما يظهر واضحاً وجلياً في الأعمال المنفذة أثناء الفترة المسيحية، حيث إن مواضيع الحياة الدينية والقصص المتعلقة بالديانة المسيحية هي المواضيع نفسها التي تكررت في أماكن مختلفة من أرض الإمبراطورية الرومانية والبيزنطية[(10)].

ثانيا- المواضيع التي تناولتها الرسوم الفسيفسائية في ليبيا

من أهم المواضيع التي تناولتها الرسوم الفسيفسائية في ليبيا هي تلك التي تدل على حياتهم اليومية وطقوسهم وتتمثل في المواضيع الآتية:

1- الحياة الاقتصادية والريفية من فلاحة وموارد اقتصادية مختلفة

وهي التي تمثل بعض جوانب الحياة العامة التي كانت تعيشها المنطقة أثناء الهيمنة الرومانية، وبخاصة تلك اللوحات التي تمثل الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية وهي:

- **فسيفساء العمل الزراعي ودراسة الغلال:**

في المتحف بالسرايا الحمراء بطرابلس تعرض لوحات فسيفسائية تم إحضارها من (دار بوك عميرا) وتقع هذه الدارة شمالي مدينة زليتن على شاطئ البحر مباشرة غربي المرسي وعلى بعد 2.5كم.
وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الشخص الذي سكن بجوارها، وتعود فترة هذه الفسيفساء إلى أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني الميلادي، ويدور موضوع هذه اللوحات على الحياة الفلاحية الاقتصادية، وهي ثلاث قطع، أمّا الأولى منها فهي دقيقة الصنع متعددة الألوان تمثل مزرعة أو بستان، يعمل بها فلاحون وبالقرب منهم ماشية ترعى تحت ظل أشجار باسقة، وفي طرف المزرعة أطفال يلعبون[(11)].
أما قطعة الفسيفساء الثانية فهي غير كاملة يظهر بها صورة منزل من طابقين، وبجوار هذا البيت رجل واقف وبقرتان تحلب إحداهما امرأة، وفي إحدى زوايا هذه القطعة منزل آخر تعلو بجانبه شجرتان.
والأخيرة هي الأفضل بين سابقاتها والأقوى من حيث الموضوع ودقة التفاصيل، فهي تصور عملية درس الحبوب، وتتميز بتعدد ألوان مع سيادة اللون الأصفر الباهت.

- **فسيفساء معامل الألبان:** عثر عليها في دار بوك عميرا، وهي محفوظة في متحف السرايا الحمراء، هذه الفسيفساء الممثلة لموضوع صناعة الألبان.

2- فسيفساء الفصول الأربعة والمناظر النيلية:

أ- **الفصول الأربعة:** هي من أفضل القطع التي عثر عليها كاملة في دار بوك عميرا، وهي معروضة في بمتحف السرايا الحمراء، تعود هذه القطعة للقرن الأول الميلادي، نفذت هذه الفسيفساء بالتقنية المعروفة باسم (اوبس سكتايل) (OPUS SECTILE) ذلك لأنها تتكون من (15 مربع) خمسة منها في الاتجاه الطولي، وثلاثة في اتجاه العرض، وأما من حيث الموضوع نفسه فخمسة منها مزخرفة بقطع الفسيفساء، محاطة من الخارج بإطار من الضفائر المجدولة(14) صور(1)، وكثيرا ما تجذب إليها السياح والباحثين، رسمت في المربعات الثلاثة الجانبية اليمنى واليسرى، صور أسماك وطيور وحيوانات برية مع فواكهه، وصور للأقزام[(12)].


صور رقم (1) الفصول الأربعة



المصدر: مصلحة الآثار صبراتة

ب- **فسيفساء المناظر النيلية:** ذكرت في لوحة الفصول الأربعة، وقد بلغ تأثير المدرسة الثانية في منطقة طرابلس مباشرة من الإسكندرية، وهو ما نلاحظه في المناظر النيلية التي عثر عليها بدارة (فيلا) شرقي مدينة لبدة الكبرى لذا سميت بدارة النيل وهي الأغنى من حيث الفسيفساء الخاصة بالمناظر النيلية كما توضحه صورة (1).

صورت اللوحة امراتين قد اصطفتا مع مجموعة من الأطفال وهما ترمزان لمدينتين رئيسيتين في مصر، الأولى في الشمال وهي عاصمة الوجه البحري مدينة (منف) جنوب القاهرة، والأخرى في الجنوب وهي عاصمة الوجه القبلي مدينة طيبة (الأقصر)[13].

ج- **الفسيفساء المجسدة للأساطير:** وهي من أكثر الفسيفساء لهذا الموضوع (فسيفساء أورفيوس)، فهي من أحب الموضوعات لدى الفنانين القدماء، وقد عثر عليها في ليبيا ضمن نماذج كثيرة لهذا الموضوع، من بينها قطعة عثر عليها بمدينة طلميثة، وهناك نموذج منحوت لهذا الموضوع نفسه معروض بمتحف صبراتة، وفي العصر المسيحي صار هذا الموضوع يتناول السيد المسيح بدل من أورفيوس[14].

وقد عثر سنة 1933 في إحدى الدارات الرومانية غرب مدينة لبدة الأثرية بالقرب من السور على شاطئ البحر على أرضية من الفسيفساء من نوع OPUS VERMICULATUM أوبوس غيرميكولاتو طول هذه اللوحة 202 سم، وعرضها 200سم، ويتكون إطارها الخارجي من ضفائر مجدولة من ثلاثة ألوان الأحمر والأزرق الفاتح والبني الغامق، وتتكون اللوحة من جزئين، العلوي منها وهو الموضوع الأساسي للوحة يصور (أورفيس) جالساً على صخرة يعزف على القيثارة، وحوله العديد من الحيوانات المتوحشة والأليفة، وأنواع من الطيور الداجنة والجارحة والبرية، ونشاهد عن يمين أورفيوس نمراً وجوزاً من الغزلان وفهداً وثوراً ووعلاً برياً

ونعامة، وفي أعلى اللوحة نشاهد مجموعة من الطيور وهي ديك حبشي وديك مزرعة وإوزة بيضاء، وطاووس، أما عن شماله فنشاهد خنزيراً برياً وأسداً ووعلاً برياً، وبغلاً ودباً وغزالاً من نوع البقر الوحشي، وفي أعلى الشمال نشاهد طائر العقاب وطيور الحجل وغرنوقاً أبيض.

أما باقي اللوحة فتتكون من ست مربعات منفصلة عن بعضها البعض بمثل الإطار الخارجي للوحة، مرتبة في صفين، في كل منها مربعات، المربع الأول في الصف العلوي من جهة اليمين منظر لسلة مملوءة بالأسماك يتدلى خارجها سمكتان كبيرتان وبطتان، وفي المربع الأوسط من الصف العلوي يظهر في مقدمة اللوحة رجلان الأول في جهة اليمين يمسك في يده رمحاً يصيد بها ثعباناً بحرياً وبيده اليمنى عصا ليضرب بها هذا الثعبان ليقتله، وعن يساره رجل آخر منحني، يجمع المحار من المياه بيديه، ويظهر في خلفية اللوحة مركب صغير به ثلاثة صيادين يجمعون شباك الصيد المليء بالأسماك،وتتكون اللوحة الأخيرة في الصف العلوي من مشهد لثلاث سمكات كبيرة الحجم من أنواع مختلفة أما الصف السفلي من اللوحة فنشاهد في المربع الأول من جهة اليمين منظراً لحظيرة ماشية في يمين اللوحة يقف أمامها رجل بيده عصا يمسك عنزةً، وقد تضرر منها جزء كبير، ونشاهد في خلفية اللوحة ثلاث عنزات ترعى، وفي المربع الأوسط من الصف الثاني مشهد لطائر الغرنوق يقف مقدمة اللوحة إلى جهة اليمين بجواره سلة من السعف مليئة بالفواكه قد سقطت منها ثلاث تفاحات، وفي خلفها زوج من طيور الحجل، أما المربع الأخير من اللوحة فيصور مشهداً في يمين اللوحة في المقدمة رجل تناوله امرأة الماء ليشرب، خلف المرأة يظهر كوخ صغير، وفي خلفية اللوحة رجل يمسك بلجام حصان مسروج(15) وهي تؤكد على أن الفسيفساء تمثل تصوير للحياة الاقتصادية في منطقة الدراسة.

صورة (2) الفسيفساء المجسدة للأساطير



المصدر : http://www.afrigatenews.net/content بتاريخ 23-11- 2017

د- **الفسيفساء المجسدة للألعاب الرياضية والصيد ومسابقات:**

- فسيفساء الألعاب الرياضية والترفيه، عثر (بدار بوك عميرا) بزليتن على نموذج وافٍ لهذا النوع يرجع إلى عصر أواخر القرن الأول الميلادي، قد جمع بين العديد من أنواع الرياضة والعروض الرومانية الترفيهية التي كانت تقام في حلبات المصارعة، والصيد، وهي الآن معروضة بالمتحف الوطني بالسرايا الحمراء بطرابلس، تعرض هذه اللوحة في الجزء الشمالي من أرضية القاعة، وهي من نوع الفسيفساء المعروفة باسم أوبس سكتايل(OPUSSECTILE ، يبلغ طول هذه اللوحة 575سم، وعرضها 397سم، تتكون اللوحة من إطار اللوحة مربع كبير يكاد يشغل ثلاث أرباع اللوحة.
- فسيفساء الصيد: عثر على مجموعة اللوحات الفسيفسائية بإحدى الدارات الرومانية بمنطقة قرجي في مدينة طرابلس جسدت إحدى هذه اللوحات المربعة مناظر صيد السباع واللون السائد في اللوحة البني والأصفر المحمر أيضاً في مجال الصيد البحري، صورة (3).

الصورة (3) فسيفساء الصيد



المصدر: http://www.afrigatenews.net/content بتاريخ 23-11- 2017

فقد عثر في دارة (فيلا) النيل بلبدة على أرضـــية من الفســـيفســـاء تعود للقرن الثالث الميلادي من الطراز الإسـكندري، ويلاحظ بأنها تتميز بالواقعية إلى حد كبير، فهي تصـور عدداً كبيراً من الصـيادين في البحر، يصـطادون الأسـماك بأسـاليب وطرق مختلفة ومتعددة تشـبه هذه الأسـاليب الطرق المتبعة في وقتنا الحاضر[16].

- فسيفساء سباق العربات امتازت فيلا سيلين، التي تقع الغرب من مدينة لبدة بحوالي 12 كم، وإلى الشرق من طرابلس بحوالي 110كم، بأنها تضـــم مجموعة كبيرة من اللوحات الفســيفســائية الرائعة بجمالها ودقة صنعها.

ثالثا- أهم مواقع الفسيفساء في ليبيا

ليس غريباً أن يتم اكتشاف الأرضيات الفسيفسائية البيزنطية في ليبيا ولعل السبب هو معرفة الفسيفساء في ليبيا منذ القرن الرابع ميلادي في يوسبيريدس أو برنيق أسمها الحالي بنغازي، وأول مرة ورد فيها ذكر هذا الاسم في مصدر أدبي كانت في كتاب الرابع للمؤرخ الإغريقي هيرودوتس الذي عاش في الفترة ما بين (484- 424) ق.م [(17)].

ويترجم هذا الاسم في اللغة العربية باسم الحدائق المقدسة، واسم مدينة الغرب السعيد، لأنها آخر المدن الخمس موقعا جهة الغرب وانتشارها في العصر الروماني في الدارات الرومانية في طرابلس وأرضيات ظهرت في طلميثة أو التي اكتشفت في سيدي خريبيش، لذا من المنطقي أن تستخدم الفسيفساء في زخرفة المباني المسيحية الجديدة، والسبب الآخر هو انتشار الكنائس البيزنطية في إقليم برقة (قورينة)، هي أشهر مدينة في اتحاد المدن الخمس (بنتابوليس) عرفت باسم قورينا، والمعروفة حاليا بشحات قام بتأسيسها المهاجرون اليونانيون من جزيرة ثيرا (سانتورين)عام 631 ق.م، وظلت قورينا تواكب حضارات العالم القديم ما يقارب ألف عام، رغم ظروف التدهور التي مرت بها، وإقليم تربوليتانيا (إقليم المدن الثلاث)، وهي كانت من أبسط الزخارف لهذه المباني وأن يتم زخرفتها بالفسيفساء.

وقد وجدت أغلب الفسيفساء في الرواق الأوسط والحنية والساحة المقدسة وبعض الحجرات الجانبية، ولم يلاحظ وجود فسيفساء تزين الجدران والقباب، وعلى الرغم من ظهور الكنائس من القرن الرابع ميلادي، إلا أن أقدم الفسيفساء ترجع للقرن الخامس ميلادي وانتشرت بشكل كبير وأصبحت سمة في كل كنيسة في عهد جستنيان، ولم يقتصر الزخرف بالفسيفساء عن الكنائس والأماكن المقدسة بل وجدت في أرضيات المباني بالمدن مثل منزل هيروكيوس في قورينا.

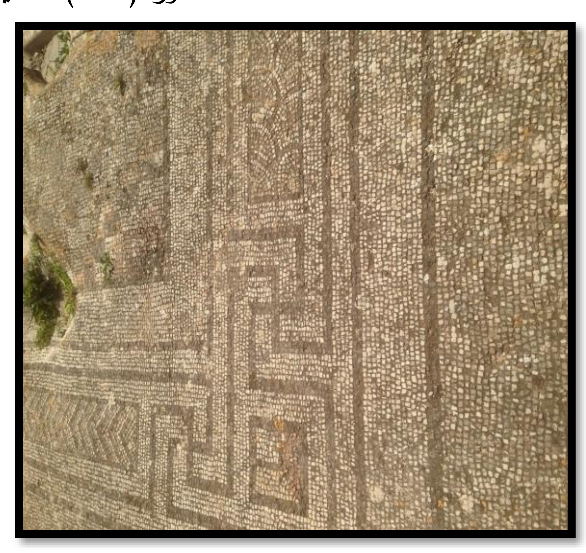
1- الأرضيات الفسيفسائية في كنائس قورينا (المنطقة الشرقية):

يلاحظ استخدام الفسيفساء في تغطية الأرضيات في أغلب كنائس قورينائية، ويمكن حصر تلك الكنائس في المدن التالية: شحات وسوسة وتوكرة ورأس الهلال وقصر ليبيا، حيث يوجد في الأخيرة متحف متخصص لعرض الفسيفساء.

ويمكن تقسيم تلك الأرضيات إلى نوعين هما نوع opus vermiculatum (الشبكي)، هذا النوع وجد في الكنيسة الشرقية في سوسة والشرقية في قصر ليبيا ورأس الهلال، وكذلك الأرضية السفلية في مبنى يظن أنه كان كنيسة يقع جنوب شرق توكرة، كشفت عنها الحفريات لسنة 1972، ونوع أوبوس تيسيلاتوم (opus Tesselatum)، يعد هذا الطراز من أهم ما يميز كنائس قورينائية، ولم ينتشر خارج هذا الإقليم وهو متأخر

عن النوع الأول، وعثر عليه في الساحة المقدسة للكنيسة الشرقية في قصر ليبيا وفي الردهة الأمامية للشرفة في شحات،[18] كما في صورة (5،4).


صورة (4، 5) **الفسيفساء في مدينة شحات**

تصوير الباحثة: أخذت الصورة بتاريخ 8-3-2018

2- أرضيات الفسيفساء في المنطقة الغربية:

من أهم الأرضيات الفسيفسائية، التي اكتشفت في هذه المنطقة، أرضية تغطي الرواق الأوسط والأروقة الجانبية في كنيسة جستنيان بصبراتة صورة (6)، والتي تقع مدينة (هابرتونوم) على ساحل البحر المتوسط إلى الغرب من مدينة أويات (طرابلس) بمسافة حوالي 70كم وإلى الغرب من مدينة بونتوس (الزاوية الغربية) بمسافة 25كم وإلى الشرق من كأساس (زوارة) بمسافة حوالي 43كم، وتعد إحدى مدن إقليم تريبوليتا، وهي تعرض في المتحف، وتمثل مشهدا رمزيا يتكون من شجرة عنب ذات فروع وعناقيد، ويوجد في أغصانها عدد كبير من الطيور، أما اللوحات الجانبية يلاحظ تأثرها بأسلوب منطقة المتوسط.

صورة (6) **اللوحات الجانبية في كنيسة جستنيان صبراتة**



المصدر: مصلحة الأثار صبراتة

وقد عثر سنة 1933 في إحدى الدارات الرومانية غرب مدينة لبدة الأثرية بالقرب من السور على شاطئ البحر على أرضية من الفسيفساء من نوع أوبوس غيرميكولاتوم ((OPUS VERMICULATUM) فقد عثر في دارة (فيلا) النيل بلبدة على أرضية من الفسيفساء تعود للقرن الثالث الميلادي من الطراز الإسكندري [19] كما سبقت الإشارة إليها، وقد تضرر منها جزء كبير صورة (7).

صورة (7) الفسيفساء من نوع أوبوس غيرميكولاتوم



المصدر: مصلحة الأثار صبراتة

اكتشف مؤخرا قطعة فسيفساء في لبدة وهي لوحات متكاملة تعود الى 2000 عام، ويصل طولها إلى تسعة امتار وتضاهي في الروعة لوحة الفسيفساء التي تصور الإسكندر الاكبر في مدينة " بومبيي" الإيطالية، إن هذه القطعة التي اكتشفها علماء اثار من ليبيا والمانيا بمدينة " لبدة" الأثرية تتكون من ثلاث لوحات متكاملة تجسد مشاهد لخمس صور منها مشهد للمصارعة بين شخصين وآخر لسباق الخيل ومشاهد لصيد الحيوانات التي كانت تشتهر بها منطقة طرابلس.

كما عثر (بدار بوك عميرا) بزليتن وهي تحتوي على الأنواع الرفيعة من القطع الملونة وهي نموذج وافٍ للفسيفساء المجسدة للألعاب الرياضية والصيد ومسابقات، وترجع إلى أواخر القرن الأول الميلادي، وهي الآن معروضة بمتحف السرايا الحمراء بطرابلس، وهي من نوع الفسيفساء المعروفة باسم أوبوس سكتايل (OPUS SECTILE)[20].

وعثر على مجموعة اللوحات الفسيفسائية بإحدى الدارات الرومانية بمنطقة قرجي في مدينة طرابلس سبقت الإشارة إليها، أيضاً في مجال الصيد البحري صورة (8).

صورة (8) فسيفساء الصيد البحري



المصدر: مصلحة الأثار صبراتة

الخاتمة:

يتضح مما سبق دراسته أن أنواع الفسيفساء الليبية قد عبرت عن الإرث التاريخي لحضاراتها، الأمر الذي يؤكد أن البلاد تتمتع بثروات تعبر عن تجدرها الحضاري والثقافي والاقتصادي، ومن خلال هذا البحث تم التوصل إلى النتائج التالية التي أهمها:

1- أن ليبيا من أغنى المناطق في شمال إفريقيا في امتلاكها للوحات الفسيفساء ذات الموضوعات الكثيرة التي تمثل جميع أوجه الحياة العامة مثل الحياة الاقتصادية خاصة الزراعة والصيد البحري، والحياة الاجتماعية، إضافة إلى موضوعات التي تمثل الأساطير الإغريقية والرومانية.

2- توجد لوحات فسيفسائية في غاية الروعة والإتقان موزعة على العديد من المدن الليبية القديمة مثل أبولونيا "سوسة" وقوريني "شحات" وقصر ليبيا، وطلميثه، وتوخيرا "توكره" ويوسيبيريدس "بنغازي" وزليتن ولبدة وتاجوراء وأويا "طرابلس" وصبراتة.

3- تعتبر اللوحات المعروضة بمتحف السرايا بطرابلس من أحسن نماذج الفسيفساء التي ترجع للفترة الرومانية، ويمكن أن تكون هذه الفسيفساء وجهة للسياح والدارسين والباحثين والعلماء على حد سواء.

4- تؤكد هذه اللوحات مدى عمق وجود الحضارة على الأراضي الليبية.

أما أهم التوصيات التي يمكن أن توصي بها في هذ البحث هي:

أ- إن الفسيفساء تنتشر في معظم الأجزاء الشمالية للبلاد ومازال الكثير منها لم يدرس لذا يجب الاهتمام بها ودراستها ومعرفة تاريخها، وهذه الثروات يمكن استغلالها سياحيا من خلال توزيع مواقعها الجغرافية على الأراض الليبية.

ب-أن هذه التنوع في الأرث الحضاري يعبر عن مدى ارتباط الحضارات في ليبيا بالحضارات العالمية، ويعزز الترابط بين الحضارات القديمة والحديثة، ويعمل على تطوير التواصل الحضاري والاقتصادي من خلال برامج التنمية السياحية الوطنية والعالمية.

المصادر والمراجع:

1- ابن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، بيروت: م6، دار صادر، 1300هـ، ص45.
2- محمد أحمد حسين، التصوير الجداري ودوره في المجتمع المصري المعاصر، رسالة دكتوراه غير منشورة: كلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان، 1982، ص76.
3- مجدي سعيد الطنطاوي، تطوير تقنيات ترميم وصيانة الفسيفساء، رسالة دكتوراه غير منشورة: جامعة الإسكندرية، كلية الفنون الجميلة،2000، ص2.
4- سام وبيرل إيشتين، الزجاج، ترجمة: عبد الفتاح المنياوي، دار المعارف بمصر، 1962م، ص36.
5- سام وبيرل إيشتين، الزجاج، المرجع السابق، ص36.
6- مجدي سعيد الطنطاوي، تطوير تقنيات ترميم وصيانة الفسيفساء، مرجع سابق، ص10.
7- مصطفى نورالدين، أثر الخامة ووسائل إخراجها في أعمال الفسيفساء، كلية الفنون، جامعة حلوان، 1980، ص17.
8- حسن الباشا، التصوير الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1959، ص25.
9- محمد علي عيسى، الحياة العامة في المدن الليبية القديمة أثناء الاستعمار الروماني من خلال بعض نماذج الفسيفساء، مجلة آثار العرب، ع8،7 ، مصلحة الآثار ، 1995، ص103.
10-محمود النمسي ومحمود الصديق، دليل متحف الآثار بالسراي الحمراء، طرابلس: الدار العربية للكتاب، 1977، ص142،141.
11-سعيد علي حامد، حول نشأت الفسيفساء، مجلة تراث الشعب،ع3، مصلحة الآثار ، 1999، ص 88.
12-محمود النمسي ومحمود ابو حامد، مرجع سابق، ص 156.
13-سعيد علي حامد، حول نشأت الفسيفساء، مرجع سابق ،ص 87.
14- http://www.afrigatenews.net/content بتاريخ 23-11- 2017
15-محمود النمسي ومحمود ابو حامد، دليل متحف الآثار بالسراي الحمراء، مرجع سابق، ص148.
16- محمود النمسي ومحمود ابو حامد، دليل متحف الآثار بالسراي الحمراء، المرجع السابق، ص 149
17- عبد السلام شلوف، الأسماء القديمة للمدن والقرى الليبية، دار هانيبال للنشر والتوزيع،2002، ص31 -32.
18- https://ar.wikipedia.org/wiki. بتاريخ 32.3.2018.
19- عبد السلام شلوف، الأسماء القديمة للمدن والقرى الليبية، دار هانيبال للنشر والتوزيع،2002، ص 31.
20- http://www.afrigatenews.net/content/. بتاريخ 23-11- 2017